

محتويات المحاضرة

التواصل بين المغرب والمشرق

الرحلات

تبادل المؤلفات

الفتوحات

أهداف المحاضرة:

نحدد الأهداف الأساسية لهذه المحاضرة، في:

□ التعرف على «الفتوحات الإسلامية» باعتبارها الأول للفاعل بين المشرق والمغرب.

□ تحديد دور المؤلفات وتبادلها في تحقيق التفاعل الثقافي.

□ اكتشاف أبرز «الرحلات» المغربية وأهميتها.

الفتوحات

□ لن ندخل في **التفاصيل التاريخية الكثيرة**، ولمن شاء التوسع فعليه بالمصادر التاريخية: ابن عذاري، البلاذري، ابن الأثير، ابن خلدون، فضلا عن بعض المنصفين من المستشرقين.

□ لاقى العرب في المغرب ما يلقاه الفاتحون من **عنت ومقاومة**، وهو العنت الذي لاقته اللغة العربية وآدابها.

□ لكن بعد اطلاع المغاربة على حقيقة الإسلام السمحة، واستئناسهم بشريعته تمكن الإسلام من نفوسهم وحملوا رسالته إلى الأصقاع، كما استأنسوا باللغة العربية وآدابها.

□ أو ما عبر عنه ذ. العروي بـ: **«عنف المقاومة في البداية وسهولة اعتناق الإسلام في النهاية»** مجمل تاريخ المغرب، ص: 128.

□ وبعيدا عن الحروب وخذعها ومكائدها فإن المصادر تذكر **أن عقبة بن نافع** قد بنى مساجد في درعة وسوس وغيرها، وأن **موسى بن نصير** أمر العرب أن يعلموا الناس القرآن ويفقهوهم في

الفتوحات

□ إن انتشار العربية والإبداع باللسان العربي احتاج إلى وقت بكل تأكيد...

□ للمغرب ثقافة عريقة وحضارة أصيلة، فأدى تلاقح الحضارتين وتفاعلهما إلى بناء «المغرب» الذي نعرفه منذ العهد الإدريسي وإلى اليوم.

□ وخلاصة القول فقد كانت الفتوحات الإسلامية **اللقاء - الأول، والتفاعل - الأبرز** بين المشرق والمغرب الإسلامي، وكان لقاء عنيفا في البداية، ثم ما لبث أن وقر في أذهان الفاتحين بعد شدة المنازعة وطول المقارعة، أن أهل المغرب -يساسون- بالرفق -لا- بالشدة وباللين -لا- بالقسوة وبالسياسة لا بالحرب، مما فتح للغة العربية والإسلام أفقا في المغرب الأقصى ثم الأندلس.

ولسما حمل أبو مُذْرِك^(٥) زُرْعَة بن أبي مُذْرِك رهائن المَصَامِدَة، جمعهم موسى مع رهائن البربر الذين أخذهم إلى إفريقية والمغرب، وكانوا على طَنْجَة، وجعل عليهم مَوْلَاه طَارِقًا، ودخل بهم جزيرة الأَنْدَلُس. وترك موسى بن نُصَيْر سبعة عشر رجلًا من العرب، يَعْلَمُونهم القرآن وشرائع الإسلام. وقد كان عُقْبَة بن نَافِع ترك فيهم بعض أصحابه يُعْلَمُونهم القرآن وشرائع^(٦) الإسلام، منهم: شَاكِر صاحب الرباط وغيره. ولم يدخل المغرب الأقصى أحدٌ من ولادة خُلَفَاء بني أُمَيَّةَ بالْمَشْرِقِ إِلَّا عُقْبَة بن نَافِع الْفِهْرِيُّ، ولم يعرف المَصَامِدَة غيره. وقيل: إنَّ أَكْثَرهم أسلموا طَوْعًا^(٧) على يَدَيْهِ، ووصل موسى بن نُصَيْر بعده.

تبادل المؤلفات

المؤلفات المغربية في المشرق

□ وبعيدا عن بعض الأفعال وردود الأفعال هنا وهناك كما نجد عند صاحب بن عباد، صاحب مقولة: «هذه بضاعتنا ردت إلينا»، أو عند ابن بسام الشنتريني وهو يرد غاضبا: «وليت شعري من قصر العلم على بعض الزمان، وخص أهل الشرق بالإحسان؟».

□ وبخصوص الكتب المغربية بالمشرق، فبالإضافة إلى الكتب التي وصلت إلى المشرق عبر الرحلات، أو عبر التجار.

□ فقد ألف المغاربة كتباً عظيمة وموسوعات ثقافية جليّة بإلحاح وطلب من المشاركة، وهو موضوع يستحق أن نقف عنده.

تبادل المؤلفات

- ❑ فهذا عبد الواحد المراكشي (ت 647 هـ .) يؤلف كتابه «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» في المشرق بعد أن طلب منه أحد وزراء الناصر لدين الله العباسي «إملاء أوراق تشتمل على بعض أخبار المغرب وهيئته وحدود أقطاره وشيء من سير ملوكه...».....
- ❑ ألف المقري (ت 1041 هـ) موسوعته الأدبية «نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب» بعد وصوله للقاهرة، بطلب ملح من الأديب ابن شاهين وأعيان دمشق، فهو يؤلفه لـ... «دين وعد أقدمه وأبدّيه، ووقوف عند حد لا يجوز تعديهِ، وتلبية داع أحبيه وأفديهِ».
- ❑ كما كتب المقري نفسه كتاباً بعنوان «فتح المتعال في مدح النعال» بعد أن طلب منه «بعض من صحّت منه السريّة» أن يجمع «في هذا الغرض المعترض ما يسمح به الوقت الحاضر».
- ❑ فعموما نلاحظ أن **الطلب** كان في مختلف الحواضر العربية على المؤلفات المغربية...
- ❑ وكل المؤلفين يتعللون **ببعدهم عن خزائهم**، وأنهم سيعتمدون على محفوظهم من هذا التراث، مما يدل على سعة هذا التراث وامتداده.

تبادل المؤلفات

المؤلفات المشرقية في المغرب

- حرص العلماء ورجال الدولة في المغرب على جمع المؤلفات المشرقية لتكوين الخزانات.
- ففي المغرب وجدت ثلاثة أنواع من خزانات الكتب: الخزانة الملكية، الخزانات الشخصية أو الخاصة، والخزانات العمومية. وجميعها ضمت مصادر من المشرق والمغرب والأندلس.
- وأنجز الأستاذ محمد المنوني عملا بيبلوغرافيا مهما جدا وهو يتتبع كتب الدراسة على عهد الموحدين، في التفسير والحديث والسيرة، وفي الفقه والتصوف والقراءات، وفي النحو واللغة والحساب.

تبادل المؤلفات

- ومن الأسماء التي تتردد في حلقات الدرس في العصر المريني: الحريري، الزجاجي، سيبويه، ثعلب، المبرد، ابن مالك، ابن هشام، امرؤ القيس، المتنبي، أبو تمام، أبو نواس، الشريف الرضي...
- والأمر نفسه في العصرين السعدي والعلوي، مع تغير بسيط وهو مزاحمة التأليف الأندلسية والمغربية للمؤلفات المشرقية...
- ثم ما نراه من احتفاء كبير بالدواوين الشعرية المشرقية، وخصوصا ديوان المتنبي وديوان أبي تمام، وقد تتبع ذ. بن شريفة أثرهما في أدب المغاربة، فحقق القول في أسانيد الديوانين، وشروحهما، ونقدهما، ومعارضاتهما، والاحتذاء بهما، والاستشهاد بشعرهما في البيئة المغربية والأندلسية.
- وقد ألف أبو العباس الجراوي «الحماسة المغربية» كما اشتهرت "محاضرات" اليوسي وزهرته...
- وعموما قد ظلت المؤلفات العربية في حركية دائمة بين المشرق والمغرب والأندلس، مما شكل إرثا حضاريا مشتركا وممتدا.

الرحلات

□ تكاد "الرحلات" تجمع جل أشكال التواصل الأخرى، فسببها ديني ثم علمي، كما يحمل الرحالة مؤلفاتهم، ويحضرون معهم مؤلفات من الآفاق. وكان من الرحالة سفراء ووزراء، كما كان أكثرهم أدباء وشعراء يتذوقون الشعر وينقلون درره.

□ وبعيدا عن سؤال من يرحل عند من، ومن يُعلم من، المشاركة، أم المغاربة، فقد كانت الرحلات مناسبات للتواصل الفكري، وتداول المعارف والعلوم، ومناقشة المؤلفات، واتساع مدى الأسانيد.

□ فالرحلات وثيقة تاريخية وحضارية وجغرافية، تمثل خزانة للمعارف والأفكار والمذاهب والعقائد، وموردا للإبداع والجمال.

□ عرف المغاربة بولوعهم بالرحلات لتعلقهم بالأماكن الحجازية والسياحة، وسعيهم لطلب العلم، ولمكانة البلد على مسرح السياسة الدولية.

□ قال المقري: "حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا بحال، ولا يعلم ذاك إلا علام الغيوب الشديد المحال، ولو أطلقنا عنان الأقلام فيمن عرفناه فقط من هؤلاء الأعلام لطال الكتاب وكث الكلام" (نفح الطيب، 5/2)

التقدير . وبعد فإني قاصد بعد استخارة الله سبحانه إلى تقييد ما
أمكن تقييده ورسم ما تيسر رسمه وتسويده مما سما إليه الناظر المطرق
في خير الرحلة إلى بلاد المشرق من ذكر بعض أوصاف البلدان.
وأحوال من بها من القطان حسبما أدركه الحس والعيان وقام عليه
بالمشاهدة شاهد البرهان من غير تورية ولا تلويح ولا تقبيح حسن
ولا تحسين قبيح. بلفظ قاصد لا يحجم مفرداً ولا يجمع فيتعدى
المدى. مسطراً لما رأيته بالعيان. ومقررأً له بأوضح بيان حتى يكون

الرحلات

دوافع الرحلات

❑ الدوافع الدينية/ الرحلات الحجازية: وذلك من أجل الحج، وزيارة مراسم الزهاد والعلماء الأحياء والأموات. - "إني كنت منذ عقدت يداي -إزاري، وتلوّث مبيض -صحيفتي -بسواد أوزاري، -متتابع -الزفرات -والأنين، -كثير -الاشتياق -والحنين -إلى -تكحيل -إنسان -العينين، بمشاهدة الحرمين" (الرحلة العياشية، ص: 51)،

❑ الدوافع العلمية/ الرحلات العلمية: كانت الرحلة شرطاً من شروط العالم، واشتهرت عبارة «وله رحلة» في كتب التراجم.

❑ قال ابن خلدون: «... فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها، فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بقاء المشايخ ومباشرة الرجال».

❑ "وقصدي إن شاء الله من كتابة هذه الرحلة أن تكون ديوان علم لا كتاب سمر وفكاهة» العياشي.

الرحلات

دوافع الرحلات

□ ويمكن هنا، في هذه الرحلات. الحجازية والعلمية. التمثيل برحلة. ابن رشيد. السبت. المسماة ملء. العيبة، ورحلة. العبدري. المسماة. "الرحلة. المغربية"، ورحلة. أبي سالم. العياشي. المسماة «ماء الموائد»، ورحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية....

□ الدوافع السياسية/الرحلات الرسمية: وقد كان سلاطين المغرب يرسلون السفراء إلى الدول في المشرق وأروبا، نظرا لتحكمهم في التجارة العالمية وموقعهم السياسي. زز.

□ ونشير هنا - إلى محمد بن عثمان المكناسي، سفير السلطان العلوي محمد بن عبد الله، وكانت له ثلاث رحلات؛ الأولى لاسبانيا بعنوان: «الإكسير في فكاك الأسير» - محمد الفاسي -، والثانية لإيطاليا «البدر السافر لهداية المسافر» - عبد الهادي التازي -، والثالثة لتركيا أدى بعدها مناسك الحج «إحراز المعلى والرقيب» - محمد بوكبوط -.

□ كما يمكن الحديث عن الرحلات السياحية، ونمثل لها برحلة ابن بطوطة المشهورة المسماة تحفة النظار...

أسباب الرحلات	أنواعها	أهميتها
- دينية	- حجازية	- الأدبية
- علمية	- علمية	- الروحية
- سياسية	- رسمية	- المعرفية والثقافية
- سياحية	- سياحية	- التاريخية والجغرافية

□ قال ابن عثمان المكناسي في مفتتح رحلته: «فإن التنقل في البلاد والتأمل في مخلوقات الله من العباد، وتذكرة القلوب وأي تذكرة، وتبصرة يا لها من تبصرة. ثم تمثل بقول الشاعر:
لا يبلغ المرء في أوطانه شرفا ... حتى يكيل تراب الأرض بالقدم